العدد 20A1 اذار 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.20A1 Mar. 2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

التطورات السياسية في مالي حتى الاستقلال 1960

م.م رشا حسين علي
وزارة التربية _ مديرية تربية ذي قار

ملخص

شهدت مالي العديد من التطورات السياسية التي أثرت على مسارها نحو الاستقلال، كانت هذه المنطقة جزءًا من الإمبراطورية المالية التي ازدهرت في العصور الوسطى، حيث كانت تمبكتو مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا. مع مرور الوقت، خضعت مالي لسيطرة العديد من الإمبراطوريات الأفريقية مثل إمبراطوريتي غانا وسونغاي، ولكنها وقعت لاحقًا تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر.

أصبحت مالي جزءًا من إفريقيا الغربية الفرنسية، حيث تم تطبيق نظام استعماري ركز على استغلال الموارد الطبيعية للمنطقة. فرضت السلطات الفرنسية سياسات اقتصادية وسياسية تهدف إلى تعزيز سيطرتها، ومنعت السكان المحليين من المشاركة في الحكم. مع ذلك، ظهرت تدريجيًا حركات سياسية تهدف إلى التحرر الوطني والاستقلال.

بعد الحرب العالمية الثانية، زادت وتيرة المطالبة بالاستقلال في جميع أنحاء إفريقيا، وشهدت مالي تصاعدًا في النشاط السياسي. قاد حزب التجمع الديمقراطي الأفريقي (RDA) في مالي الحراك السياسي المطالب بالاستقلال تحت قيادة شخصيات بارزة مثل موديبو كيتا. أصبح الحزب قوة مؤثرة، واستخدم الأساليب السلمية والمفاوضات للضغط من أجل الاستقلال.

في عام 1959، اندمجت مالي مع السنغال لتشكيل اتحاد مالي كخطوة نحو الاستقلال الكامل. ومع ذلك، انهار الاتحاد سريعًا بسبب خلافات سياسية بين البلدين. وفي 22 سبتمبر 1960، حصلت مالي أخيرًا على استقلالها الكامل عن فرنسا، وأصبحت جمهورية مالي، مع تولي موديبو كيتا رئاسة البلاد كأول رئيس لها، حيث تبنى سياسة اشتراكية وسعى لبناء اقتصاد مستقل يحرر مالي من الهيمنة الاستعمارية السابقة.

الكلمات المفتاحية : (الاستعمار ، مالي ، افريقيا ، الفرنسي ، الاستقلال)

Political developments in Mali up to independence 1960

Asst. Teacher. Rasha Hussein Ali
Ministry of Education - Dhi Qar Education Directorate

abstract

Mali has undergone numerous political developments that have shaped its path to independence. This region was part of the Malian Empire, which flourished in the Middle Ages, with Timbuktu serving as a major commercial and cultural center. Over time, Mali came under the control of various African empires, such as the Ghana and Songhai empires, but later fell under French colonial rule in the late 19th century.

Mali became part of French West Africa, where a colonial system focused on exploiting the region's natural resources was implemented. French authorities imposed economic and political policies designed to consolidate their control and prevented local populations from participating in governance. However, political movements advocating for national liberation and independence gradually emerged.

Following World War II, the demand for independence intensified across Africa, and Mali experienced a surge in political activism. The African Democratic Rally (RDA) party in Mali spearheaded the political movement for independence under prominent figures such as Modibo Keïta. The party became a powerful force, employing peaceful methods and negotiations to press for independence. In 1959, Mali merged with Senegal to form the Malian Federation as a step towards full independence. However, the federation quickly collapsed due to political disagreements between the two countries. On September 22, 1960, Mali finally gained full independence from France, becoming the Republic of Mali, with Modibo Keïta as its first president. He adopted socialist policies and sought to build an independent economy that would liberate Mali from its former colonial domination.

Keywords: (colonialism, Mali, Africa, French, independence)

المبحث الاول

الإطار الطبيعي والبشري لجمهورية مالي

اولا: الموقع الجغرافي

تعد مالي من كبرى دول غرب القارة الافريقية الكبرى إذ تبلغ مساحتها ١,٢٠٤,٠٠٠ كيلومتر مربع تشترك مالي في حدودها السياسية كل من موريتانية والجزائر والنيجر وفولتا العليا وساحل العاج وغينيا والسنغال , وتتألف معظم أراضي مالي من هضبة مكونة من الغرانيت والصخور الرملية ولا تجاوز ارتفاعها بوجه عام على ٥٠٠ متر عن مستوى سطح البحر ، تستوي في أقسامها الشمالية والشمالية الغربية فتبدو كسهل فسيح منبسط تسوده الكثبان الرملية المسماة (ثمورما) والأراضي الحصوية. في حين ترتفع في أجزائها الشمالية الشرقية قرب حدود الجزائر والنيجر، وتعد هنا امتداداً لمرتفعات (الهكّار) ويطلق عليها اسم هضبة (أدرار) وكذلك ترتفع في جهاتها الجنوبية والجنوبية الغربية قرب حدود غينية وساحل العاج حيث تكون نهاية السفوح الشمالية فوتا جالون المشهورة في غربي إفريقية، ويفصل بين هذين القسمين من المرتفعات الجزء الأوسط من الهضبة المستوية المعروفة بهضبة (ماندينغ) والتي يجري فيها نهر النيجر (نافذ ايوب بيلتو، مالي، ١٩٨٦، صفحة 44)

تنساب المياه من المرتفعات الجانبية لتستقر في الحوض المنخفض الذي تتوسطه مدينة **تومبوكتو**، ومنه يميل السطح تدريجياً نحو الجنوب الشرقي متبعاً مجرى النهر، وتكون الاراضي المنخفضة تكثرفيها المستنقعات وخاصة في فصل الصيف وتختلط مياه نهر النيجر رافده نهر باني وتشكل بحيرات أو بركاً تشغل مساحات واسعة مثل (دابو و) (دو) و (كورارو) و (فاغوبيني) وكلها جنوب غربي (تومبوكتو) ، ويجري نهر السنغال نحو الشمال الغربي مع انحدار قليل للأرض. ويكون بين المجريين مرتفع وئيد من الأرض، هو جزء من هضبة ماندينغ (نافذ ايوب بيلتو، مالي، ١٩٨٦، صفحة 45)

تضم المنطقة الشمالية أحواضاً منخفضة ومغلقة تؤول إليها بعض السيول مثل (الحريشة) في المثلث الواقع بين الجزائر وموريتانية، وبالقرب منها (تاؤدني) أيضاً. تعد هذه المنخفضات جزءاً من صحراء **"تانزروفت "**الشاسعة التي تمتد بين شمال البلاد وجنوب الجزائر . أما جنوبي الصحراء فنجد سهول (الأسواق) شمال حدود النيجر حيث وادي (الأسواق) الذي يجري من هضبة (اير) في النيجر و مرتفعات «الهكّار» في الجزائر، ثم سهول (أزواد) شمالي مدينة تومبوكتو

ثانياً : المناخ

نظرًا لموقعها الجغرافي ، تمتد مالي على اربع مناطق مناخية بيئية مختلفة و هي الصحراء والساحل ووالسودان غينيا مع متوسط هطول سنوي يتراوح بين ١٠٠ و ١٧٠٠ ملم. يقدم موسمًا واحدًا فقط من الأمطار يقتصر تمامًا على الصيف ، والذي يستمر لمدة تصل إلى ستة أشهر في الجنوب وينخفض إلى شهرين في الشمال. فقط السودان والسودان - غينيا

والمناطق ذات إمكانيات الري توفر إمكانات زراعية أو زراعية - رعوية. هذه المناطق لديها ما يكفي من الأمطار ، والتربة الخصبة ، وتوفر إمكانيات للزراعة وتكامل الثروة الحيوانية. يتم التحكم في هطول الأمطار إلى حد كبير عن طريق تذبذب منطقة التقارب بين المداري

عبر شمال وجنوب القارة الأفريقية ، مما يؤدي إلى هطول الأمطار في جنوب مالي بين يونيو وأكتوبر. تتميز الفصول الثلاثة عبر مالي ، ويختلف وقت حدوثها وطولها على طول التدرج العرضي. تقريبًا ، يشمل ذلك موسمًا باردًا وجافًا يحدث بين أكتوبر ويناير ، وموسم حار وجاف بين فبراير إلى مايو ، وموسم ممطر حيث تزداد الرطوبة وتنخفض درجات الحرارة بين. أشهر يونيو وسبتمبر في الشمال. (الأحمري، 2016، صفحة 56)

اما منطقة جنوب الساحل فتستقبل ٨٠٠-١١٠٠ ملم من الأمطار على مدى ١٢٥-١٥٠ يومًا في السنة ، وحيث الإنتاج الحيواني هو النشاط الرئيسي لتوليد الدخل. يؤدي نقص الأمطار وتساقط الأمطار خلال الأوقات الحرجة في دورة النمو إلى إجهاد إنتاج الكفاف للدخن والذرة الرفيعة في هذه المنطقة. مجموعة فرعية من هذه المنطقة هي دلتا نهر النيجر ، وهو سهل الفيضان لنهر النيجر الذي يغمره الفيضان لأكثر من خمسة أشهر كل عام ، حيث توجد مجموعة متنوعة من الفرص الزراعية والمعيشية ، بما في ذلك غالبية إنتاج الأرز المروي في البلاد و يُظهر جنوب وغرب مالي مناخًا على الطراز السوداني مع موسم أمطار قصير من يونيو إلى سبتمبر. يتراوح هطول الأمطار من ٧٠٠ إلى ١٤٠٠ ملم ، ويزداد طول موسم الأمطار إلى الجنوب. تركز الأنشطة المدرة للدخل على إنتاج الفول السوداني واللوبيا والموز والمانجو والحمضيات والقطن والذرة والخضروات الأخرى. تشمل المخاطر المناخية الرئيسية في هذه المناطق ضعف توزيع هطول الأمطار خلال موسم الأمطار ، وفي أقصى الجنوب ، ارتفاع تكاليف المدخلات لإنتاج القطن. (الأحمري، 2016، صفحة 45) .

ثالثا: التركيبة السكانية

يقدر عدد سكان مالي بحوالي سته ملايين ونصف المليون، وبذا تكون الكثافة خمسة أشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد. ويبلغ معدل الزيادة السنوية بـ ١,٩% على أن الغالبية العظمى من السكان تتركز في الجزء الجنوبي من البلاد وبخاصة حول نهر النيجر إذ أن الأجزاء الشمالية تشغلها الصحراء، وأهم المجموعات الجنسية هي:

1-الماندينغ: وتعني هذه الكلمة مجموعة الشعوب التي تتكلم لغة الماندي، ولهذه المجموعة أسماء كثيرة تدل على المجموعة نفسها، إذ أن كل شعب يطلق عليها اسماً خاصاً حتى كثرت هذه الأسماء وسببت إشكالات كثيرة فقد وهم بعضهم، وظن أن كل اسم يدل على شعب خاص، واخطأ بعضهم الآخر للتشابه .فالعرب يسمونهم مليل.

مثل هذا المكون السكاني نحو **40%**من إجمالي الشعب، وتعود جذورهم السلالية إلى الشرق، حيث يُعتبرون النموذج الأمثل للجنس السوداني الذي يُتخذ كمعيار للمقارنة مع المجموعات الزنجية في سواحل "غانا." ، لذا يمكن أن نعدهم أقرب الناس جميعاً للجنس الزنجي الذي لم يختلط بغيره، على الرغم من أنهم اختلطوا مع البربر الحاميين في الشمال. إضافة إلى سمات الوجه البارزة كالجبهة العريضة، والأنف المفلطح، والشفاه الغليظة، مع قلة في كثافة الشعر ويقول عنهم الحسن الوزان: «إنهم أعظم أجناس إفريقية رقياً ومدنية، وأشدهم ذكاء وأجدرهم بالاحترام (كونارى،، ١٩٥٧، صفحة 21)

2- تنتشر قبائل **الصنغاي** الزنجية على طول انحناءة نهر النيجر، حيث يتركز وجودهم في المناطق الممتدة من **"مونتي "**و **"تومبوكتو "**وصولاً إلى مدينة **"غاو** ."ويشكل هذا المكون السكاني قرابة **12%**من إجمالي سكان البلاد، ويعتمد نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي بشكل أساسي على حرفة **صيد الأسماك** التي ترتبط بطبيعة استقرارهم على ضفاف النهر.. (كونارى،، ١٩٥٧، صفحة 32).

3-لفولاني : تُعرف شعوب **الفولاني** بأسماء متعددة كـ "الفولا" و"الفيلاتا" و"البهل"، وهم مجموعات هاجرت تاريخياً من جهة الشمال لتستقر وتندمج بين مجتمعات "الماندينغ". وقد لعبت هذه الشعوب أدواراً سياسية محورية من خلال تأسيس أسر حاكمة في مناطق شاسعة شملت إمبراطوريتي "غانة القديمة" و"الصوصو" في مالي والسنغال. وينتشر الفولاني اليوم في أرجاء واسعة من البلاد بنسبة تقدر بنحو **10%**من إجمالي السكان، ويمتهنون بشكل أساسي **تربية المواشي**، كما يتميزون بانتمائهم للدين الإسلامي... (أيوب ، صفحة 26) .

4- البرنو: تنحدر شعوب **البرنو** من الإقليم الذي يحمل اسمهم في شمال شرق نيجيريا وغرب بحيرة تشاد، وهم نسيج بشري يضم أعراقاً شتى، من أبرزها: (الكنوري، والكري، والكرنبة، والمنكة، والمندرة، والوندلة)، بالإضافة إلى المكون العربي، وقد كان لهذه الشعوب قصب السبق في اعتناق **الإسلام** منذ عصوره الأولى في أفريقيا، ولم يكتفوا بذلك بل لعبوا دوراً محورياً في نشره بين القبائل المجاورة. وتتعدد اللغات التي يتحدث بها البرنو، إلا أن لغة **"الكنوري** "تظل الأكثر سيادة وانتشاراً بينهم.

5- **التوكلور Takuri- من اللفظ الفرنسي** ، موطنه الأصلي في السنغال، حيث هاجرت مجموعات منهم واستقرت في مالي. ويتميز هذا الشعب بتنوع نشاطه الاقتصادي؛ ، وهم من المسلمين (Wolff، 1984، صفحة 47).

6- الطوارق : يُعرف **الطوارق** بلقب "الملثمين" لتمسكهم بارتداء اللثام، وهم ينتشرون في نطاق جغرافي واسع يمتد من **فزان** و**غدامس** في ليبيا إلى شمال **نيجيريا**، ومن منطقة **توات** بالجزائر جنوب مدار السرطان وصولاً إلى غرب **تومبوكتو** في مالي. وينقسم الطوارق إلى عشائر متعددة تُعرف بإضافة كلمة **"كل)** "بمعنى أهل) إلى موطنها؛ مثل **"كل الهقار** "في جنوب الجزائر، و**"كل أدرار"، و**"كل انتصار"** المحيطين بتومبوكتو. وتتوزع هذه المجموعات تاريخياً إلى قسمين رئيسيين:

- **المجموعة الشمالية :**تستوطن المناطق الصحراوية وتعتمد في معيشتها على تربية **الإبل والأغنام**.
- **المجموعة الجنوبية :**تقطن هضاب أراضي السافانا وتتخصص بشكل أساسي في تربية **الأبقار**..(السويدي، ١٩٨٦، صفحة 15):

رابعاً : الديانة

تاريخ الديانات في مالي يظهر تأثيرًا قويًا للإسلام بعد قرون من تأثر المنطقة بالديانات التقليدية. بينما المسيحية كانت موجودة جزئيًا خلال فترة الاستعمار الفرنسي، إلا أن الإسلام يظل الدين السائد. التاريخ الإسلامي في مالي، خاصة في ظل الإمبراطوريات القديمة مثل إمبراطورية مالي، يعد حجر الزاوية لفهم الثقافة الدينية في المنطقة.. (Robinson, 2020, p. 44)

المبحث الثاني

الغزو الاستعماري

اولاً : حملة الكشوف الجغرافية (البعثات الاستطلاعية والرواد الذين ارتادوا مالي)

أرسلت فرنسا وبريطانيا روادا ليرتادوا داخل القارة الإفريقية بغية إيجاد أسواق جديدة تستهلك البضائع التي تنتجها المصانع بازدياد مو أنها لا تكفى المراكز التجارية المطلة على الشواطئ في استهلاك هذه السلع وكان الرواد الذين زاروا مالي: مونغو بارك . رينيه كانيه ..هنري بارث . بينجر .مونتيه مونجو بارك في عام ١٧٩٥ ظل الغموض يكتنف المناطق الداخلية لغرب أفريقيا حتى أرسلت الجمعية الملكية البريطانية ما بين أعوام ١٧٨٨-١٧٩٣ ثلاث بعثات إلى المنطقة بدأت اثنتان منهما من الشمال الإفريقي وبدأت الثالثة من غامبيا لكشف حقيقة نهر النيجر والتي لم يكتب لها النجاح، وبعد ذلك قامت نفس الجمعية بمحاولة رابعة واختارت لذلك طبيبا شابا اسكتلندي الجنسية يدعى مونجو بارك في عام ١٧٩٥ والذي نزل عند مصب نهر جامبيا وسار فيه إلى القرب من منابعه وتركه وعبر نهر السنغال باتجاه النيجر حتى وصل شواطئه عند مدينة سيجو سيجو التي تقع على بعد ٤٠٠ كلم عن منابع النهر ، وسار في هذا النهر لمسافة قصيرة حيث وصل سانساندج ، ولم يتمكن بارك من السفر إلى أبعد من ذلك نتيجة الصعوبات التي لاقته ليعود بعدها إلى جامبيا ثم أوروبا وقدم حينها تقريرا تضمن أن النيجر نهر كبير يفيض من الشرق إلى الغرب، وقد استنتج الجغرافيون الأوروبيون عندئذ أن النهر ينبع من بع ض البحيرات الوسطى والمستنقعات، (Adams، 1820، صفحة 98)

وعند وصول بارك إلى انجلترا لقي تكريما واسعا لجهوده الكشفية في منطقة النيجر، لكن ما لبث الحماس الجماهيري تجاهه أن اختفى وعاد لمزاولة مهنته كطبيب في اسكتلندا، وتخلى حينها عن اهتماماته بالكشف الجغرافي لبعض الوقت، ومع ذلك فقد عاد مرة أخرى عندما نجحت الجمعية الجغرافية الإفريقية في إقناع الحكومة بتمويل بعثة إلى النيجر، واختير

بارك لقيادتها، وبدأ فعلا رحلته الثانية في سنة ١٨٠٥ ، وقد أخذ معه في هذه المرة شقيق زوجته ورسام وبعض الفنيين وثلاثون جنديا وبعض الضباط والبحارين، وكانت رحلته هذه سيئة الحظ منذ أولها تقريبا، حيث أصيب معظم أفرادها بالمرض وانتهت حياتهم بالموت الواحد تلو الآخر .(Adams، 1820، صفحة 98)

رينيه كانيه **([1])** فيما بين عامي ١٨٢٧ إلى ١٨٢٨ انطلق رينيه كانيه من شواطئ غينية إلى الجنوب فوصل إلى مالي و بالتحديد مدينه تومبوكتو وتنكر في لباس عربي ، و كان كانييه أول من بادر بزيارة تمبكتو، حيث حددت مهمته بالوصول إلى المدينة وتقديم تقرير مفصل عن أسواقها والسلع والبضائع الرائجة فيها ومناطق التبادل التجاري فيها، بالإضافة إلى التأكد من صدق ما روج عن ذهبها وعجائب كنوزها وهل فعلا يتم استخدام التبر في مجال البيع والشراء بين تجارها وغير ذلك من المعلومات التي من شأنها أن تخدم فرنسا، وهو ما قام به من خلال رحلته التي انطلق فيها من السنغال حيث قدم تعريفا لمعظم القبائل والمدن وطرق القوافل والآبار المنتشرة في الطريق والمسالك الموصلة إلى تومبكتو والمدن المجاورة لها وهكذا نجد أن مدينة تومبكتو كانت مجهولة لدى الأوربيين لغاية مجيء رونيه كاييه إليها سنة ١٨١٦، والجدير بالذكر أن رحلته الأولى إلى تمبكتو كانت بإمكاناته الخاصة ولم تتبنى مجهوده فيها أية جهة رسمية، ولهذا لم يكن مخططا لها بشكل جيد ولم يعد لها ما يكفي من الإمكانات المادية أو المعلومات التي تساعده على انجازها بأكمل وجه. (عاطف، ٢٠٠٢، صفحة 6)

1. بعثة غاليني في ٢٠/ مارس / ١٨٨٠ غادر غاليني مدين صوب كيتا ، في محاولة المفاوضة مع أحمد تال بشأن مد بلاده ، وتوقيع معاهدة تحول فرنسا حق بناء مراكز لها في البلاد، ولما وصلت البعثة إلى انغو قرب سيغو (ابو زيد، 2021) ألقى أحمد القبض عليها وفرض عليها الإقامة الجبرية حتى في ٢١ مارس ١٨٨١ عندما سمع ببناء قلعة في كيتا. ومعلومات قيمة عن خط السكة الحديدية وعن أماكن بناء القلاع في المستقبل. وصل بذلك ما بين السودان وساحل العاج وجمع خلالها الوثائق الاقتصادية والقبلية للمناطق التي مر به (عاطف، ٢٠٠٢، صفحة 10)
2. .مونتيه غادر سانت لوس في 4/ أوكتوبر ١٨٩٠ ، حتى وصل سوكوتو مرورا بليبتاكو من بلاد الموشي ثم وصل بلاد بورنو حتى وصل إلى انغى في على ضفة بحيرة تشاد في 25 أوت عام ١٨٩٢ ومنها إلى ليبيا، فتمكنت فرنسا بسبب هذه الرحلة التي استغرقت ٢٧ شهرا من وصل غرب ووسط وشمال إفريقيا بعضها ببعض عبر خط حديدي
3. بعثة ماج وكينتين في ٢٥ نوفمبر ١٨٦٤ ، قامت بعثة بقيادة ماج وكينتين من مدين القاعدة الفرنسية فمرت في طريقها إلى سيقو ،وكان الهدف الحصول على تنازلات ترابية من قبل أحمد تال ملك سيغو ، فلما وصلا إلى سيغو حبسهما أحمد بن شيخ عمر تال لمدة سنتين ثم عادا بمعلومات وفيرة عن حوض نهر النيجير.
4. بعثتا بينجر و مونتيه (Harris, 1991, p. 55)وفي عام ١٨٨٧ عزمت فرنسا على احتلال جميع بلاد أفريقيا الغربية فجهزت بعثتين على رأسيهما بينجر ومونتيه (Harris, 1991, p. 56). فأما بنجر فتوجه من بماكو إلى الشمال الشرقي حيث وصل إلى كل من وليسى بوغو، بوغوني ، سيكاسو ، كونغ بويونجولا سو إلى أن انتهت رحلته ب (الخزان بسام) يساحل العاج في ٢٠ / مارس /١٨٨٩ .

.ثانياً : احتلال كيتا و تومباكتو

اشتدت عزيمة الفرنسيين على التقدم نحو السودان (مالي) فنظم الكومندان بورني ديسبورد عددا من الحملات يقصد بها احتلال كل من كيتا وبماكو. (Cohen, 1974, p. 86)

1 : كيتا : وصلت بعثة من مدين متبعة مجرى نهر السنغال إلى كيتا في ٧ فبراير ١٨٨١ فأعطى سكان كيتا ولاءهم له ، وبنى قلعة فيها . وقد سخط أهل غوباكو ضد الاحتلال فهاجمهم بورني. و كان من نتائج هذا الاحتلال آثار خطيرة على مالي

([1])ولد رونيه كابيه عام 1799 في بلدة موزييل الفرنسية من عائلة فقيرة، توفي والده في السجن سنة ثلاث سنوات توفيت والدته عاش حياة قاسية ولم ينل حظه من التعليم حيث اشتغل حرفيا لإعانة عائلته، كان مولعا بالمطالعة وبقراءة كتب الرحلات وأخبار السفر والمغامرات . للمزيد ينظر محمد عاطف، أشهر الاكتشافات الجغرافية في العالم، دار الطائف، ٢٠٠٢ ، ص ٥٢.

منها انقطاع طرق القوافل من الشمال إلى الجنوب، و تحول الفرنسيين من مفاوضين إلى غزاة فاتحين (عمر، 2000، صفحة 25)

لم يكن احتلال تومباكتو حدثاً معزولاً، بل كان ذروة لمسار عسكري بدأ بصرامة في ثمانينيات القرن التاسع عشر. فكما يذكر المؤرخون، كانت نقطة التحول مع **الكومندان بورني ديسبورد**، الذي قاد حملات توسعية استهدفت مدينتي **كيتا وباماكو**.

2 : تومباكتو

في فبراير 1881، سقطت "كيتا" وبُنيت فيها قلعة فرنسية، وهو ما مثّل تحولاً جذرياً؛ حيث تحول الفرنسيون من مجرد بعثات تفاوضية تبحث عن موطئ قدم تجاري إلى **"غزاة فاتحين"**. هذا التوسع أدى إلى خنق طرق القوافل التاريخية، وعزل تومباكتو عن محيطها التجاري في الجنوب، مما مهد الطريق لسقوطها اللاحق. (Adams، 1820، صفحة 34)

1 .السباق نحو المدينة الغامضة

مع وصول التسعينيات من القرن التاسع عشر، اشتدت المنافسة العسكرية. كانت فرنسا تخشى من طموحات بريطانيا في المنطقة، مما دفع القادة العسكريين الميدانيين إلى اتخاذ قرارات جريئة دون انتظار أوامر مباشرة من باريس أحياناً.

في ديسمبر 1893، قاد الملازم **بوازلو (Boiteux)** أسطولاً صغيراً عبر نهر النيجر ووصل إلى مشارف تومباكتو. كان هذا التحرك "مغامرة" عسكرية فرضت على الحكومة الفرنسية المضي قدماً في احتلال المدينة رسمياً لتجنب أي تراجع يمس بهيبة الدولة.

2 .الصدام مع المقاومة (كارثة بعثة بونير)

لم يكن دخول تومباكتو نزهة عسكرية؛ فقد واجه الفرنسيون مقاومة شرسة من قبائل **الطوارق** الذين اعتبروا الوجود الفرنسي تهديداً لسيادتهم ونظامهم الاقتصادي.

في يناير 1894، تعرضت بعثة العقيد **بونير (Bonnier)** لضربة قاصمة في منطقة "تونديبي"، حيث باغتهم مقاتلو الطوارق ليلاً، مما أسفر عن مقتل العقيد بونير ومعظم ضباطه وجنوده. كانت هذه الهزيمة صدمة للجيش الفرنسي، لكنها زادت من إصراره على إخضاع المدينة بالكامل.

3 .السقوط النهائي وترسيخ الاحتلال

تولى العقيد (المارشال لاحقاً **جوزيف جوفر** مهمة الانتقام لبعثة بونير وتثبيت أقدام فرنسا. دخلت قواته تومباكتو في أوائل عام 1894، وبدأ فوراً في تحصينها وبناء القلاع العسكرية.

باحتلال تومباكتو، حققت فرنسا عدة أهداف استراتيجية:

- **السيطرة الرمزية :**كسر هيبة المدينة التي استعصت على الأوروبيين لقرون.
- **التحكم الجيوسياسي :**إطباق السيطرة على منحنى نهر النيجر، وهو الشريان الحيوي للتجارة في غرب أفريقيا.
- **تفتيش الوعي الثقافي :**بدأت فرنسا في محاولة دراسة وتصنيف المخطوطات الإسلامية النادرة التي كانت تزخر بها المدينة، لاستخدام المعرفة كأداة للسيطرة. (J، 1999، صفحة 44)

المبحث الثالث

حركات المقاومة ضد الاستعمار

اولا: اهم المقاومات

حين كشفت فرنسا عن نواياها التوسعية كان عليها أن تواجه مقاومة من قبل الملوك والمصلحين والأباطرة الذين كانوا في السودان، و كانت هذه المقاومات :

1- **مقاومة الشيخ عمر بن سعيد** : حين حاصر قلعة مدين في أبريل ، ثم في ١١ مايو، ثم في 4 يونيو عام ١٨٥٧م. وكلها باءت بالفشل مما اضطره إلى عقد معاهدة مع المستعمر فيهدرب.

2- **مقاومة أحمد بن الشيخ عمر :** الذي قبض على رواد فرنسا: ماج وكينتين عام ١٨٦٤ ثم على غاليني عام ١٨٩٠ وهذا الأخير أيضا اضطر إلى عقد معاهدة مع غاليني (القشاط، 2000، صفحة 49) ،ثم بعد مقتل الشيخ محمد الأمين درامي سعى الشيخ عمر لمواصلة زحفه نحو الشمال ، لكنه لم يتمكن من السيطرة على كل المناطق التي تشكل دولة مالي الحالية، فبعدما وصل في عام ١٨٦٣ إلى مدينة "تمبوكتو"، حيث تشكلت مقاومة كبيرة العدد والعدة ضدّه في تلك المدينة. (جمل، ١٩٧٥، صفحة 38)و كانت هذه خضع هذه المنطقة لنفوذ قبيلة عربية بقيادة الشيخ **"البقاعي"**، أحد أبرز رموز الطريقة القادرية والذي كان قد دعم البامبارا خوفاً من غزو بلاده من طرف الحاج عمر الفوتي. وذلك قبل أن يخوض الحرب بنفسه مع غريمه، وينجح في القضاء عليه يوم 12 فبراير/شباط ١٨٦٤. ، ثم انسحب منها إلى المشرق حيث قاومهم في جنى وبجانقارا إلى أن توجه في الأخير إلى سوكوتو

3- مقاومة الشيخ محمد الأمين درامى فقد قاوم هذا البطل السوننكي والمصلح المجاهد الاستعمار في مناطق غوشوبي مقاومة شديدة ، وفي ١٨٨٧/١٢/٠٩ استيقظ المجاهدون في مدينة **توبا** جنوب نهر السنغال؛ ورغم الاستبسال البطولي للمقاومين الذين كادوا يقتحمون التحصينات الفرنسية، إلا أن استشهاد كبار القادة أضعف صفوفهم. وعقب المعركة، تمكن درامي مع ثلة من تلامذته من الانسحاب غرباً، لكن القوات الفرنسية استطاعت اعتقاله بمساعدة بعض أعيان القرى، ليرتقي شهيداً متأثراً بجراحه في **11ديسمبر 1887**.(المحجوب، 1981، صفحة 12)

. **4- مقاومة ساموري توري** ابن لافيا توري: اصطدم بالفرنسيين لأول مرة في كيتا عام ١٨٨١ ثم في بماكو عام ١٨٨٣ وبعد معارك ضارية خاضها ضد الفرنسيين قرر التفاوض مع الفرنسيين فعقد معاهدة سلام وتجارة في معهم وضع بمقتضاها جنوب النيجر وأنهار تنكسو تحت الحماية الفرنسية، وكان هذا الأخير يطمح إلى تكوين إمبراطورية كبيرة من الماندينجو في أعالي النيجر، حيث اتخذ سنة ١٨٧٢ من مدينة بيساندوجو عاصمة له ثم استولى على منطقة كنكان في نفس السنة، كما تطلع لمد نفوذه جنوب النيجر بعد أن نجح في تكوين جيش كبير من قبائل الماندينجو ، وقد وصف الضابط الفرنسي بيروز إمبراطورية ساموري توري وصفا دقيقا بعد أن عقد معه معاهدة سنة ١٨٨٦ ، حيث ذكر أن الإمبراطورية كانت مقسمة إلى ١٢٦ إقليما احتوى كل منها على 20 قرية تختلف كل منها عن الاخرى، وذكر أن الإمبراطورية بها العديد من الأسواق مثل سوق الذهب والعاج والماشية، ونالت بعضها شهرة كبيرة مثل سوق كماي وسوق نورا وكوروسا. (ذهني، 1989، صفحة 64)،

وقد وصف الضابط الفرنسي بيروز إمبراطورية ساموري توري وصفا دقيقا بعد أن عقد معه معاهدة سنة ١٨٨٦ ، حيث ذكر أن الإمبراطورية كانت مقسمة إلى ١٢٦ إقليما احتوى كل منها على 20 قرية تختلف كل منها عن الاخرى، وذكر أن الإمبراطورية بها العديد من الأسواق مثل سوق الذهب والعاج والماشية، ونالت بعضها شهرة كبيرة مثل سوق كماي وسوق نورا وكوروسا (Rodet، 2015، صفحة 56).

5- مقاومة بابيمبا : كان سيكاسو تشيبا قد احتفظ بعلاقات طيبة مع فرنسا ، وبعد وفاة تشيبا عام 1893م جاء أحوه بابيمبا، فأخذته الحمية والإباء فألقى المعاهدة، فأرسل الكولونيل أودى أودو بعثه إليه لتثبيت المعاهدة وتوكيد العلاقات مع فرنسا ولكن بابيمبا كره إقامة فرنسية بجواره فقررت فرنسا احتلال سيكاسو، فأرسلت فرقة إلى سيكاسو، ووصلت هذه الفرقة إلى سيكاسو في ١٥ إبريل عام ١٨٩٨ وبدأت المعارك، فدافع بابيمبا عن العاصمة دفاعا باسلا، وفي أول

مايو ١٨٩٩ استطاع الفرنسيون دخول المدينة عبر السقوق التي فتحوها في الحصن(سور سيگاشو). فلما رأى بابيمبا أنه خسر المعركة إنتحر.

6- مقاومة الطوارق :

مع بداية عام ١٨٩٣ دخل الطوارق في مقاومة بالأسلحة ضد الاحتلال الفرنسي لبلادهم ، فقاوموا الضابط الفرنسي أوب بالقرب من بركة كابارا في ديسمبر ١٨٩٣ وقتلوه في أورومير مع أغلب رجاله، ثم قاوم الطوارق في تومبوكتو ففي١٠ يناير ١٨٩٤،، ثم في ١٥ أبريل عام ١٨٩٤ شن طوارق تين غيرى غيف بقيادة محمد أحمد أروال هجوما على القوات الفرنسية في تاكوبا وقتل الكولونيل بوانييه مع كثير من ضباطه. ثم قاوم الطوارق في داووري ولكنهم أصيبوا فيها بريعة مريرة على يد الكومندان جوفر في 23 مارس ١٨٩٤ ، كما قاومت قبائل أولي مدين المستعمر حتى عام ١٩٠٣. وتابعت قبائل الطوارق المقاومة حتى عام ١٩١٦، حيث قتل رئيسهم قيهرون (علي، ٢٠٠٨، صفحة 34)

7- ثوره بيليدوغو:

فيما بين ٢٣ شباط إلى ١٨ اذار عام ١٩١٥ ، حدثت ثورة بيلدوغو ضد المستعمر الفرنسي، بقيادة (جوسى تراوري المشهور ب (كومين جوسى و يقال بأن كومين . نفسه لم يكن راغبا في الحرب؛ لأنه من عمل في الجيش الفرنسي من قبل، ولكنهم أجبروه على ذلك، وقد حاربتهم فرنسا بالرشاشات والمدافع الثقيلة وتم التغلب عليهم، فلما علم كومين جوسى المعركة أشعل النار في بيت البارود فمات فيها مع زوجته. ومن اختار الموت من الأحرار. وقد جمعت فرنسا ٤٠٠٠ بندقية تقليدية، فتم أحراقها، كعملية لتجريد المنطقة . السلاح، كما تم القبض على (كاتون جارا) و (غارانتيغي جارا) و(كونغى)، و (ماركالا انفي) (علي، ٢٠٠٨، صفحة 14) .

8- مقاومة الدوغون:

كما قاومت قبائل الدوغون (كادو) في مناطق باجنغارا، فتم الاستيلاء على المناطق التهامية(المنخفضة)، ولم يصل الاستعمار إلى المناطق النجدية (الجبلية الوعرة والشاهقة، ويقال بأن المقاومات والثورات استمرت في هذه المناطق حتى حدود ١٩٣٠ تقريبا (حسن ، ٢٠٠٧، صفحة 44).

ثانياً :نهاية حركات المقاومة

باءت معظم حركات المقاومة بالفشل قبل حلول عام ١٨٩٨؛ حيث قتل بعض زعمائها، ونفي بعضهم إلى الخارج ، وانتحر بعضهم، كما صالح البعض الآخر ، وبقيت جبهة النضال في بلاد الدوغون حتى عام ١٩١٠ ، وحتى ١٩١٦ في بلاد الطوارق، ثم انعدمت المقاومات، وحلا الجو للمستعمر يتصرف كما يريد، فحكم البلاد ونهب خيراتها، واستغل أبناءها حتى عام ١٩٦٠ حين أعطى الاستقلال السياسي للدولة، واحتفظ بتوجيه الاقتصاد. أسباب الفشل ، ويرجع فشل الماليين إلى عدة أسباب منها

1تفوق فرنسا العسكري

2وجود الخلافات بين الملوك والزعماء

3تشتت جبهات المقاومة وانعزال بعضها عن بعض (محمد، ١٩٩٧، صفحة 51)

العدد 20A1 اذار 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.20A1 Mar. 2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

المبحث الرابع

السياسة الاستعمارية والاستقلال

اولاً :الاستغلال الاستعماري

بعد انتهاء المقاومات خلا الجو للمستعمر الفرنسي ؛ يبيض ويصفر كيف شاء من دون رقيب ، تحت غطاء الاستعمار، ولقد ركز هذا الاستعمار على امتصاص خيرات المستعمرات الزراعية والمعدنية، وشجع الشركات الأجنبية الاحتكارية على استثمار أموالها في المستعمرات، خاصة في المجالات التي تخدم الدولة المستعمرة. وحاولت هذه الشركات استغلال اقتصاديات البلاد المستعمرة في وقت قصير لأنها كانت دائما تتخوف من الثورات المعادية لوجودها. وركز جميع محاولاته على أن تظل الشعوب المستعمرة تعمل في الزراعة لتنتج المواد الخام الزراعية التي تغذي صناعة الدول المستعمرة، ولتكون سوقا فسيحا أمام المصنوعات التي تنتجها الدول الاستعمارية (محمد، ١٩٩٧، صفحة 16).

ثانياً: السياسة الاستعمارية

رسمت فرنسا سياستها الاستعمارية في إفريقيا على أساس فلسفة معينة، وهي نظام الحكم المباشر، وذلك بعد أن قضت فرنسا فرضت فرنسا هيمنتها المطلقة على كافة القيادات القبلية والإدارات المحلية في المستعمرات الأفريقية التي سقطت تحت لوائها، حيث أخضعت تلك الأقاليم وشعوبها لنظام **الحكم المباشر** .ورغم محاولات فرنسا اللاحقة لتعديل نهجها وتطبيق سياسات مشابهة للنظام البريطاني القائم على "الحكم غير المباشر"، إلا أن فلسفتها الاستعمارية ظلت متمسكة بمركزية القرار وتفكيك البنى التقليدية للمجتمعات المحلية (J، 1999، صفحة 5) الحكم غير المباشر فغيرت استراتيجيتها الاستعمارية ، عبر إشراك بعض العناصر الأفريقية في الإدارة، ؛ فإن الأمر لم يهدف لتنفيذ سياسة نظام الحكم غير المباشر؛ إذ ظلت السلطة الحقيقية في يد القوات العسكريين ، والموظفين الفرنسيين. والعجيب أن السياسة الاستعمارية الفرنسية بنيت على بعض المبادئ البراقة في مظهرها التي أعلنتها الثورة الفرنسية، فقد استند الفرنسيون على أن جميع سكان المستعمرات يجب أن يكونوا مواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات، وعلى هذا الأساس قدمت (نظرية الامتصاص أو الاستيعاب) والمقصود بها صبغ المستعمرات الفرنسية بالصبغة الفرنسية عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين (استعمار ثقافي) (J، 1999، صفحة 56) ولغتهم، وتقاليدهم، ونظمهم الاجتماعية، والسياسية على الإفريقيين؛ حتى يستوعبوها تماما، فيصبح تفكيرهم واتجاههم في مختلف نواحي الحياة تماما كالفرنسيين، ويتطلب هذا بالطبع قطع كل صلة للإفريقي بتاريخه القومي وحضارته الإفريقية بمختلف مظاهرها ومقوماتها، ثم يتشرب تدريجيا الثقافة الفرنسية بما يتصل بها من تقاليد المظاهر الحضارية ترسخت الروابط التاريخية والاجتماعية والسياسية للمستعمرات مع "فرنسا الأم"، حيث خضعت كل مستعمرة لسلطة **حاكم عام فرنسي** يستمد توجيهاته مباشرة من وزير المستعمرات في باريس. وقد اعتمد الوزير في مهامه على دعم **"المجلس الأعلى للمستعمرات"**، إلى جانب لجان استشارية فنية متخصصة في مجالات حيوية كالتعليم والرعاية الصحية. أما على المستوى المحلي، فقد عاون الحاكم العام طاقم من المسؤولين الفرنسيين الذين عينتهم الوزارة لإدارة المؤسسات والقطاعات المختلفة داخل المستعمرة.. (الطيب، 2000، صفحة 23)

أدت التحولات العالمية المتلاحقة والأزمات التي عصفت بفرنسا ذاتها إلى دفع صُنّاع القرار لمراجعة استراتيجياتهم تجاه الدول الواقعة تحت نفوذهم. وقد نتج عن هذا التوجه عقد سلسلة من اللقاءات السياسية لبحث طبيعة العلاقة بين "فرنسا الأم" ومستعمراتها، كان من أبرزها **مؤتمر برازافيل عام 1944** .وأثمرت هذه التحركات عن إصدار دساتير تهدف لتطوير الروابط مع الأقاليم الأفريقية، ومن أهمها **دستور الجمهورية الرابعة** في أكتوبر 1946، ثم **دستور ديغول** لعام 1958.، الذي نص على منح المستعمرات الفرنسية استقلالها ، وفي المجال الصحي كان نصيب الإفريقيين من العلاج ضئيلا جدا ، وكانت نسبة الوفيات في المستعمرات الإفريقية تثير لقلة عدد الأطباء وفقد الأدوية وعدم وجود أماكن في المستشفيات وقد وصلت نسبة الوفيات بين الأطفال في أفريقيا السوداء) إلى ٦٠% في بعض الأقاليم (الطيب، 2000، صفحة 24).

ثالثاً : الاستعمار والصراع مع الدراسات العربية الإسلامية

بعد الغزو المغربي عام ١٥٩١ واستيلاء المغاربة على تنبكت وبعض مدن مالي نتج عن هذا السقوط نهب التراث الديني والعلمي للمنطقة، وقضوا على كثير من العلماء وهاجر بعضهم إلى دول أخرى، وبهذه الحادثة بدأت مرحلة الانحطاط والركود العلمي والثقافي في البلاد (مجموعه بحوث، ١٩٨٩)، وأصبحت جامعة سانكورى في خبر كان، وكانت قبل ذلك

إحدى الجامعات الإسلامية العريقة في العالم. وبعد هذه المرحلة قامت الكتاتيب . بقايا الكيان المتهدم . بدور ملموس في تحفيظ القرآن الكريم ودراسة بعض الكتب الفقهية على المذهب المالكي، فأنشئت في ربوع البلاد المجالس العلمية، والخلاوي. هكذا كانت أحوال التعليم الإسلامي في مالي من ١٥٩١ إلى دخول الاستعمار ،١٨٥٧، ثم بعد دخول الاستعمار حتى عام ١٩٤٦.

عندنا دخل الاستعمار، لقي معارضة شديدة من الملوك والزعماء والمصلحين الذين كانوا في المنطقة، وكان معظم هؤلاء مسلمين، ومثقفين بالثقافة الإسلامية، ومهتمين باللغة العربية وعلمائها ومتعلميها، بل كان أقوى من عارض المستعمر مذ دخوله الشيخان الشيخ عمر بن سعيد ،تال والإمام ساموري توري وكلاهما من أسرة علمية مشهورة؛ فلما تمكن الاستعمار عمل كعادته على ممارسة كافة الوسائل لعرقلة مسيرة المدارس الإسلامية، لأنها رأت فيها السلاح الأقدر على مكافحة الأطماع الاستعمارية الصليبية في البلاد، ولذا لم ترض الحكومات الاستعمارية أن تعتبرها مؤسسات تعليمية تتبع وزارة التعليم إداريا، بل اعتبرتها مؤسسات دينية تخضع لسلطات وزارة الداخلية والأمن (مجموعه بحوث، ١٩٨٩) .

رابعاً : أساليب الاستعمار في محاربة التعليم العربي الإسلامي

استعملت الحكومات الاستعمارية أساليب متعددة لمحاربة الثقافة الإسلامية، ومحاولة محقها، واستيعاب الشعوب المسلمة، وسلخهم من هويتهم الإسلامية، وسنذكر هنا ثلاثة من هذه الأساليب :

الأسلوب الأول

عملت الإدارة الاستعمارية على إحكام قبضتها على مؤسسات التعليم الأصلي عبر حزمة من التشريعات المقيدة؛ حيث أصدر الحاكم الفرنسي "فهدرب" القرار **(رقم** (96) في **22يونيو 1957)**، وهو تشريع استهدف إخضاع الكتاتيب والمراكز الإسلامية لسلطة المحتل، وقد تضمن القرار المواد التالية:

1. **حظر التأسيس :**منع إنشاء أي مؤسسة تعليمية إسلامية أو ممارسة مهنة التدريس دون الحصول على تصريح رسمي مسبق من الحاكم.
2. **بروتوكول الطلبات :** إلزام كافة المشايخ والعلماء الراغبين في فتح محاضر تعليمية بتقديم طلبات خطية للسلطة الحاكمة.
3. **لجان التقييم :**تشكيل لجنة فحص برئاسة رئيس البلدية ومعلم يختاره الحاكم، تتولى اختبار المعلمين الراغبين في مزاولة المهنة.
4. **الرقابة الإدارية :** إخضاع المدارس لرقابة دورية، مع إلزام المدرسين برفع كشوفات إحصائية كل ثلاثة أشهر تتضمن بيانات التلاميذ وأعمارهم.
5. **الدمج الثقافي :** إجبار المعلمين على إرسال التلاميذ ممن بلغوا سن الثانية عشرة فما فوق لحضور دروس مسائية في المدارس الفرنسية التي تشرف عليها الإرساليات التنصيرية.
6. **المساءلة القانونية :**إحالة أي مخالف لهذه البنود إلى المحاكم المختصة، وتطبيق العقوبات الواردة في المرسوم الملكي المؤرخ في **26أبريل 1845**.(عبد الله، ٢٠٠٩، صفحة 45)

سيوزع هذا القرار على جميع المعنيين، وسيتم نشره في الجريدة الرسمية للمستعمرة) امباكي نقلا عن الوثائق الإدارية للسنغال، وبعد مرور أربعين سنة من تطبيق مكافحة التعليم الإسلامي بدون جدوى ، أصدرت الإدارة الفرنسية قرارات أخرى أشد صرامة ضد المدارس القرآنية والعربية. فبتاريخ ٩ مايو ١٨٩٦ أصدر الحاكم العسكري الفرنسي قرارا يتضمن ست عشرة مادة منها يبدأ تطبيق جميع البنود الواردة في هذا القرار مع بداية العام الدراسي القادم ١٨٩٦في تاريخ ٢٢ اب ١٩١٠ كتب الحاكم العام لمستعمرات فرنسا في غرب إفريقيا (وليام بونتي) رسالة خاصة إلى مفتش التعليم الرسمي الإسلامي، قال فيها : " لا ينبغي أن نضيع أية فرصة لنشر لغتنا، وتخفيض عدد التلاميذ الذين يذهبون إلى المدارس القرآنية فقط " وقد أجبرتني أنه حتى في (سان لويس) فعدد التلاميذ الذين يتابعون دراستهم في مدارس المدينة الأربع لا يزيد على (٥٠٠) تلميذ، في حين أن أكثر من ١٣٠٠

تلميذا يتجمعون حول الشيوخ في المدارس القرآنية ولا يجوز أن ندعم المدارس القرآنية، بل علينا أن نتجنب كل ما يعزز نشر دين لا يؤمن معتقده بسيادتنا (دمبيا، ٢٠٠٤ ، صفحة 11).

الأسلوب الثاني(سياسة الاحتواء والمهادنة)

احدى الاساليب التي سلكها المستعمر مهادنة التعليم الإسلامي تمهيدا لاحتوائه، فحين أدرك المستعمر الفرنسي عدم جدوى قراراته حيال المدارس العربية الإسلامية، وأنها عقيمة؛ لا تستطيع إعاقة نشر الثقافة العربية الإسلامية، ابتكر طريقة أخرى لاحتواء الثقافة العربية، وتحويل المجتمع، وذلك عن طريق تأسيس مدارس عربية تنشر الثقافة الاستعمارية باللغة العربية. وقد بدأت فكرة إنشاء المدرسة العربية الحديثة على يد الحاكم الاستعماري لمنطقة إفريقيا الفرنسية (A.O.F) (امباكي، ١٩٩٧) ، وكان هدف هذه الفكرة إيجاد مدرسة تؤهل الكوادر الذين يستخدمون مصالح المستعمرين، لأنهم وجدوا أن اللغة العربية هي التي كانت لغة التعامل الإداري في المنطقة، وتعد وسيلة أيضا لمراقبة تربية وتعليم أبناء المسلمين وتوجيههم حسب سياستهم . الاستعمارية. فأنشأت في مالي أول مدرسة عربية حديثة في مدينة جنى عام ١٩٠٦، ثم أغلق لأسباب غامضة، ثم أعيد افتتاحها مرة أخرى ١٩٠٨ وذلك لاستخدام اللغة العربية لنشر الحضارة الفرنسية الغربية في بيئة مسلمة محافظة ، ولكن نظرا لقلة عدد الطلاب وعدم الإقبال عليها، ورغبة اهالي تنبكت في المدرسة،وابتعاث أولادهم إلى مدرسة جنّى، أنشا الحاكم الفرنسي مدرسة مماثلة في تنبكت عام ١٩١٠. (امباكي، ١٩٩٧، صفحة 44)

وبدأت هاتين المدرستين تتحولان تدريجيا إلى الفرنسية ؛ وتعملان ولو عن طريق الخداع على نشر الفكر الفرنسي، وتهيئة الجو لنقل الحضارة الفرنسية. ويبدو أن مدرسة جنّى تم إغلاقها فيما بعد. وفي عام 1934م أصبحت مدرسة تنبكت خاضعة للنظام التعليمي العام بأفريقيا الغربية الفرنسية، وصارت فعلا . عضوة فعالة في المجتمع بمرسوم ١٩٣٤ وكان منهجها ثنائي اللغة (العربية والفرنسية) (امباكي، ١٩٩٧، صفحة 21).

ومن هنا نلاحظ أن المحاولات الأولى لإنشاء المدرسة الإسلامية على الطريقة الحديثة كانت عل يد المستعمرين، وذلك لتحقيق أطماعهم، ولتحويل أبناء المسلمين عن دينهم . منذ الطفولة الأولى. وقد اضطرت السلطات الاستعمارية إلى إعادة النظر في هيكل تنظيم هذه المدرسة التربوي، ولوائحها الداخلية، ومناهجها ؛ لما رأت أنها لم تحقق أهدافها، ولم تجد قبولا كبيرا من الشعب، فاتخذت قرارا للحد من تأثيرها الديني، وكان من بنود تلك القرارات ما يلي:

1. مادة ٧ : التعليم الإسلامي في المدرسة يتكون من المواد التالية : اللغة العربية من النحو والصرف، والأدب، والشريعة الإسلامية، والأحاديث النبوية، وتفسير القرآن، والتوحيد (دمباصي، ٢٠٠٨).
2. مادة ٨ : عند رغبة التلاميذ في تعليم اللغة الفرنسية فيسمح لهم بذلك, ولكن تحت إشراف مدير المدرسة نفسه. وهذا يمثل استراتيجية المستعمر الغربي في كل أرض ينزل بها، ومع كل الشعوب يريد أن يغتصب ممتلكاتها وينتهك حرماتها؛ فإنه يدرس طبائع السكان، ويتعرف على ميولهم ليدخل عليهم من أسهل الأبواب، ويقهرهم نفسيا وماديا. وكما فعل المستعمر الفرنسي في مالي فقد مارس هذا الأسلوب نفسه مع شعوب آخرين ؛ فمثلا: يقول الباحث الجزائري عبد الحميد بواربو " ترجع بدايات الاهتمام بالمواد الثقافية الشعبية في الجزائر من طرف المؤسسة الرسمية الاستعمارية في العصر الحديث إلى بداية الاحتلال الفرنسى للبلاد في الربع الثاني من القرن التاسع عشر" (دمباصي، ٢٠٠٨، صفحة 34).

الأسلوب الثالث (نهب التراث الثقافي الإسلامي والحضاري إلى فرنسا)

حيث استولى الحاكم الاستعماري أرشينارد على خزانة الشيخ أحمد ،تال ونقلها إلى فرنسا. وهي التي عرفت بخزانة أرشينارد ، وهذا ليس غريبا من الاستعمار فإن مكتبات أوربا مليئة بالمخطوطات والكتب العربية التي تم نهبها، أو شراؤها بثمن بخس من أصحابها. وخلاصة القول : أن الاستعمار حارب الثقافة العربية الإسلامية بكل قواه وبأساليب متنوعة، ولكن ذلك لم يمكنه من القضاء على الثقافة الإسلامية، بل استفاقت الثقافة الإسلامية من جديد، بعد ركودها إثر الغزو المغربي وغيرها، فأسس الغيورون على الثقافة الإسلامية مدارس إسلامية على غرار المدارس الحديثة بحلول عام ١٩٤٦ وما بعدها. وإلى يومنا هذا نجد بأن طلاب المدارس العربية أكثر من طلاب المدارس الفرنسية، وكذلك عدد المدارس العربية الإسلامية أكثر من تعداد المدارس الفرنسية، رغم كون الحكومة هي التي تنفق على المدارس الفرنسية، والدارس العربية إنما ينفق عليها الأهالي والمحسنون (والتر، 1988) .

خامساً : يقظة الشعوب الإفريقية المستعمرة

بدأت اليقظة في كثير من الدول الإفريقية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، غير أن إضعاف الاستعمار لم يتحقق إلا بعد الحرب العالمية الثانية لعدة أسباب منها:

- الوعي لدى الشعوب المستعمرة:كان المحاربون القدامى قد اكتسبوا أفكارا جديدة جعلتهم يرفضون احتقار الجنس الأبيض لهم، ومن ثم فإنهم شاركوا مشاركة نشطة في حركات التحرير الوطنية إلى جانب التجار وأصحاب المزارع الكبرى والمثقفين الذين عملوا على إنشاء النقابات العمالية والأحزاب السياسية التي كانت العمود الفقري للكفاح من أجل استعادة الحرية.
- الإفريقانية (أي الشعور بالانتماء الإفريقي) : ١٩٥٤ ، والتي نظمت العديد من المؤتمرات : ففي مؤتمرها الخامس المنعقد في مانتشيستر (ببريطانيا) ١٩٤٥ والذي شارك فيها الكاتب الأمريكي الشهير (وليم إدوارد بورقارديبوا) (١٩٧٨.١٨٦٣) وبعض الزعماء الأفارقة مثل كوامي انكروما (١٩٧٢.١٩٠٩) وجومو كينياتا(١٩٧٨.١٨٩٣) طالب المشاركون الاعتراف بالجنس الأسود وإلغاء كافة أنواع الظلم ضدهم وحق كل الشعوب في تقرير مصيره. و تعتبر الإفريقانية حركة تهدف إلى تحقيق وحدة الشعوب الإفريقية داخل اتحاد الدول الإفريقية خلال الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٥٤ (باتريسيا ، ٢٠١٢، صفحة 24)
- الزنوجية في مؤازرة الكفاح السياسي قام (ليبولد سيدار سينغور) بمعركة ثقافية من أجل حمل البيض على الاعتراف بالحضارة الزنجية الإفريقية. وقد أطلقت كلمة الزنوجة في النصف الأول من الثلاثينيات وبالتحديد بين عامي (١٩٣٥.١٩٣٣) على يد الشاعرين (سينغور السنغالي (٢٠٠١.١٩٠٦)، وإيمي سيزوار المولود في ١٩١٣.
- تحرك منظمة الأمم المتحدة: لقد كافحت منظمة الأمم المتحدة بشدة ضد النظام الاستعماري، كما ساندت بدون تحفظ حركات الكفاح من أجل الاستقلال.
- تحرك الولايات المتحدة الأمريكية:إن معارضة الولايات المتحدة الأمريكية للنظام الاستعماري كان لها هدف اقتصادي حيث أن الصناعة الأمريكية كانت تواجه في ذلك الوقت مشكلة بيع منتجاتها، بينما كانت القوى الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا) تطبقان قانون (الأفضلية أنهما كانتا تحتكران أسواق المستعمرات لذا قدمت الولايات المتحدة مساندة الشعوب الإفريقية من أجل حصولها على المواد الأولية.
- المعارضة السوفياتية للاستعمار :بناء على تمسكه بالإيديولجية الماركسية اللينينية التي تعلن أن (الحرية لا تحقق لشعب مادام يظلم شعبا آخر) لذلك ساندت حركات الكفاح من أجل الاستقلال.
- التأثير الآسيويكانت المؤتمرات الآسيوية للدول الأولى التي حصلت على استقلالها أثر كبير في حركات التحرر في إفريقيا، حيث أدان المؤثر الإفريقي الأسيوي المنعقد في (باندونغ) في إندونيسيا، في شهر إبريل ١٩٥٥ بشدة الأصولية والاستعمار والعنصرية.
- حركة القوى المناوئة للاستعمار داخل الدول المستعمرة أصبحت للقوى الدينية والأحزاب الشيوعية ، ومجموعات من الاقتصاديين. معارضة حقيقية للاستعمار وكانت هذه القوى تندد بالاعتداءات التي تقوم بها السلطات الاستعمارية وتساند حركات الاستقلال (الرفاعي، ١٩٧٩، صفحة 66).

سادساً : الكفاح السياسي في مالي من أجل التحرير

تميز الكفاح لنيل الاستقلال في إفريقيا الغربية الفرنسية بالسلم عن طريق الحركات النقابية. وفي إطار المؤسسات مثل المجالس المحلية وبرلمان باريس . كان تطور الأوضاع على مراحل في الأعوام التالية ١٩٤٤ و ١٩٤٦ و ١٩٥٨ ١٩٦٠, جمع الفريق ديغول الإداريين الرئيسيين من المستعمرات الفرنسية في مؤتمر) (برازافيل وأصدر المؤتمر القرار بتمثيل الشعوب المستعمرة في المجلس التأسيسي للجمهورية الرابعة غير انه استبعد كل فكرة حول الاستقلال. تم استبدال الاتحاد الفرنسي بالإمبراطورية الفرنسية بموجب دستور أكتوبر ١٩٤٩، ووضع في كل مستعمرة مجلس عام أصبح في عام ١٩٥٢ المجلس الإقليمي, وكانت هذه المجالس العامة تصوت للميزانية والضرائب دون أن تكون لها صلاحية سن القوانين ، والمستعمرات التي طلق عليها فيما بعد أراضي ما وراء البحار كانت ممثلة في المجلس الوطني الفرنسي بنواب سمحت لهم بالأعمال بخق تمديد حق التصويت ، وإلغاء الأعمال الشاقة والإجبارية بموجب قانون هوفوت (بوانيه الصادر في ١١ أبريل ١٩٤٦، ومنح الجنسية لكل المواطنين المنتمين إلى الاتحاد مع إلغاء نظام إدارة المستعمرين بموجب قانون(لامين غيه) الصادر في٧ /مايو ١٩٤٦ (خليفي ، ٢٠١٩ ، صفحة 12)

سمح دستور ١٩٤٦ بتعدد التكتلات النقابية والأحزاب السياسية، فمنذ عام ١٩٣٧ ظهرت نقابة المدرسين لإفريقيا الغربية الفرنسية برئاسة مامادو كوناتى في مالي (١٨٩٧.١٩٥٦)، وونيزين كوليبالي في ساحل العاج، وأنشئت نقابة المزارعين الأفارقة في عام ١٩٤٤ ، وفي السودان الفرنسي أنشئ الاتحاد الإقليمي لنقابات السودان عام ١٩٤٦. في البداية كانت مطالب النقابات ذات طابع اقتصادي واجتماعي، لكنه بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت العلاقة متينة بين التطلعات الاقتصادي والاجتماعية والآمال السياسية. فقد تكون العديد من الرجال السياسيين في الحركات النقابية. وأكبر الأحزاب السياسية الأولى في إفريقيا الغربية هي : (التجمع الديمقراطي الإفريقي برئاسة فليكس هوفوت بوانيه(١٩٠٥.١٩٣٣) وحزب المستقلين لما وراء البحار بزعامة السنغالي: ليوبولد سيدار سينغور (١٩٠٦.٢٠٠١)

ومن المهم أن نشير إلى أن دستور 1946م لم تغير طبيعة مركزية السلطة الاستعمارية، حيث أن فرنسا كانت متمسكة جدا بمستعمراتها ، فكانت القرارات تتخذ دائما في باريس ويقوم المحافظون بتطبيقها في الأراضي المستعمرة. حاربت الحكومة الفرنسية حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي في الفترة من ١٩٤٨ ١٩٥٠ عن طريق اعتماد إجراءات مشددة تقليل عدد النواب في البرلمان الفرنسي، ووضع نظام هيئة مزدوجة للناخبين، وعدم تطبيق الاقتراع العام.

على الرغم من ذلك فإن حركة التحرير الوطني أجبرت الفرنسيين على تغيير موقفهم؛ فالحكومة الاشتراكية التي وصلت إلى الحكم في فرنسا في أعقاب انتخابات ١٩٥٥ قررت الإسراع بالمستعمرات نحو الاستقلال. فقام الوزير الفرنسي للمستعمرات قاسطون ديفير (١٩٠١٠.١٩٨٦) مع فلكس هو فوت بوانيه وزير الدولة بإعداد قانون الملاك في يونيو ١٩٥٦، وكان هذا القانون يمنح كل مستعمرة مزيدا من الاستقلالية وألغت ازدواجية هيئة الناخبين إلى هيئة موحدة وبموجبه أصبح الاقتراع العام ،شاملا، كما وسع هذا القانون صلاحيات المجالس الإقليمية وأسس مجالس الحكومة علما بان رئيس مجلس الحكومة كان المحافظ، ونائب رئيس مجلس الحكومة هو رئيس الأغلبية البرلمانية. وفي عام (١٩٥٧) (ذهني، 1989) عقد مؤتمر في بماكو يضم إقليم إفريقيا العربية، وقد اعترف هذا المؤتمر بحق تقرير المصير، واعترفت فرنسا بذلك لأنها خشيت اندلاع ثورة في البلاد، كما حدث في الجزائر إذ كانت الثورة مشعلة هناك. وأصدر رئيس وزراء فرنسا يومذاك قانون الإصلاح الإداري الذي ينص على إجرء انتخابات في كل إقليم لتأسيس جمعيات عامة تتولى تشكيل الوزرارة، فنال السودان الفرنسي حكمه الذاتي بعد عودة الفريق ديغول إلى الحكم في سبتمبر ١٩٥٨ قام بتنظيم استفتاء حول دستور الجمهورية الخامسة ومستقبل العلاقات بين فرنسا ومجموعة المناطق والأراضي (ما وراء البحار) بعد أن وجد نفسه عاجزا عن منع المسيرة نحو استقلال الدول المستعمرة. وكان يجب على الأفارقة أن يختاروا بين الاستقلال) ولم يكن الفريق ديغول يرغب في هذا الخيار) وبين الاتحاد في إطار ما أطلق عليه في وقته (المجموعة الفرنسية (ذهني، 1989).

خلال الاستفتاء الذي أجري في سبتمبر 1958ك كانت غينيا كوناكري تحت قيادة (أحمد سيكو توري) هي الدولة الوحيدة التي اختارت الاستقلال وقال كلمته المشهورة : (**إننا نفضل الحرية في الفقر على العبودية في الغنى) بينما أصبح دول إفريقيا الغربية الفرنسية الأخرى) دولا (شريكة لها حكمها الذاتي بحيث تحصل على المساعدة الفرنسية على أن تدير سياستها الخارجية ودفاعها واقتصادها بالاشتراك مع فرنسا وقد نالت هذه الدول استقلالها بعد غينيا بعامين دون أن تفقد علاقتها مع فرنسا** (ذهني، 1989، صفحة 45) .

سابعاً : نهايه الاستعمار الفرنسي

عمر رأينا قيما مركيف مدت فرنسا نفوذها إلى كثير من دول غرب إفريقيا، كما رأينا في الفصل السابق أن الفرنسيين قد لقوا مقاومة عنيفة من شعوب المنطقة، ولعل أبرزها في مالي مقاومة ساموري توري، وأمادو سيكو بن الشيخ . تال والطوارق في الصحراء، وقد نجحت بأسلحتها أن تخمد هذه المقاومة الوطنية ولكن فرنسا لم تستطع أن تقف في وجه التيار التحرري القوي الذي اجتاح القارة، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، نتيجة للشعارات التي نادى بها الحلفاء أثناء فترة الحربين العالمية الأولى والثانية، والاحتكاك الحضاري بين الأفارقة وغيرهم، وما وصل إليه بعض الأفارقة من مستوى ثقافي،وقد فشلت محاولات الفرنسيين أيضا لتهدئة هذه الحركات. وقد كان آخر هذه المحاولات هي الدستور الذي وضعه جنرال ديغول)، في عام ١٩٥٨، الذي بموجبه تقرر استقلال الأقاليم الخاضعة لفرنسا، وأن تكون فرنسا مع الجمهوريات الأفريقية التي تقبله (رابطة الجماعة الفرنسية)، وهي شبيهة بنظام (الكومنولث) البريطاني, واضطرت فرنسا في عام ١٩٦٠ لأن تذعن للأمر الواقع فاعترفت عام في هذا العام باستقلال دول الجماعة الفرنسية، وعقدت مع كل منها معاهدة تحدد نوع العلاقة بين البلدين (خليفي ، ٢٠١٩) .

الخاتمة

تُظهر دراسة مسار مالي السياسي أن هذه المنطقة لم تكن مجرد بقعة جغرافية عابرة، بل كانت عمقاً حضارياً وإسلامياً مزدهراً قبل أن تطالها الأطماع الاستعمارية .وقد كشف البحث عن عدة استنتاجات رئيسية حول هذه المرحلة التاريخية:

- عمق المقاومة الوطنية :واجه الغزو الفرنسي مقاومة شرسة من مختلف مكونات المجتمع المالي، بدءاً من حركات المصلحين الدينيين مثل الشيخ عمر بن سعيد وساموري توري، وصولاً إلى مقاومة الطوارق والدوغون.
- الصمود الثقافي والتعليمي :رغم السياسات الاستعمارية الممنهجة لمحاربة اللغة العربية والتعليم الإسلامي ومحاولة فرض "سياسة الاستيعاب" الفرنسية ، إلا أن الكتاتيب والمؤسسات التعليمية الأهلية استطاعت الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع المالي.
- التحول نحو النضال السياسي :أثبتت أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية أن الوعي الوطني قد نضج، حيث انتقل الكفاح من المواجهة العسكرية المباشرة إلى التنظيم الحزبي والنقابي بقيادة شخصيات وطنية مثل موديبو كيتا.
- تحقيق السيادة الكاملة :تُوجت هذه الرحلة الطويلة من النضال بانهيار اتحاد مالي (مع السنغال) وإعلان استقلال جمهورية مالي الكامل في 22 سبتمبر 1960.

ختاماً، فإن استقلال مالي لم يكن مجرد إجراء إداري، بل كان استعادةً لسيادة شعب قاوم التبعية الاقتصادية والثقافية، وسعى منذ اللحظات الأولى لبناء دولة اشتراكية تسعى للتحرر من الهيمنة الاستعمارية السابقة وتأسيس اقتصاد وطني مستقل

المراجع

New York, NY: Oxford .Mali: A Political and Economic Study .(2020) .D Robinson .University Press

.,French: librairi algérienne et coloniale .Sahara et Soudan,Pari .(1984) .Henri Wolff

Les Races Guerrières': Racial preconceptions in the French military about .(1999) .Lunn J ،Journal of Contemporary History .West African soldiers during the First World War .الصفحات 517-537

Escaping slavery and building diasporic communities in French Soudan and .(2015) .M Rodet .The International Journal of African Historical Studies .Senegal, ca. 1880-1940

London: .Colonial Expansion in West Africa French .(1991) .Norman Dwight Harris .Longman

Second Voyage de Mungo Park dans l'intérieur de l'Afrique pendant .(1820) .Robert Adams .Paris: Ed Denture libraire imprimeur .l'année 1805

Journal of the .The Western Sudan in French thought and action .(1974) .W B Cohen .Historical، صفحة 417

أحمد. ابو زيد. (2021). الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا وخزانة الحاج عمر الفوتي. القاهرة: دار المعارف.

ألفا عمر كوناري، (١٩٥٧). ومادام كوناري آدام باه: تاريخ مالي الكبير. (البمبرية، المحرر) القاهره.

إلهام علي ذهني. (1989). بحوث ووثائق في تاريخ أفريقيا. دار الفكر: القاهرة.

خديم محمد سعيد امباكي. (١٩٩٧). التعليم الإسلامي في إفريقيا، الواقع و المأمول. الجزائر: جامعه محمد بوضياف.

ديلبيبيانو باتريسيا . (٢٠١٢). العبودية في العصر الحديث. (أماني فوزي حبشي، المحرر) الامارات: أبو ظبي للسياحة، والثقافة.

رودني والتر. (1988). أوروبا والتخلف في افريقيا. (أحمد القصير، المحرر) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

سيسي عبد الرحمن عبد الله. (٢٠٠٩). نظـام التـعليم العربي الأهلـي في مـالي-دراسة تحليلية (١٩٤٦-٢٠٠٦). مجلة دراسات إفريقية، الصفحات 279-277.

شوقي جمل. (١٩٧٥). تاريخ شمال و غرب افريقيا. بيروت: دار المعرفة الجامعة.

عبد العزيز الرفاعي. (١٩٧٩). مشاكل افريقيا في عهد الاستقلال. القاهرة: مكتبه القاهرة الحديثه.

عبد القادر خليفي . (٢٠١٩). الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا وآسيا. كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، ٨٨. جامعة وهران.

عبدالله الطيب. (2000). المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة. بيروت: دار الشروق.

علي ناجي أيوب . (بلا تاريخ). لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم. الكويت: دار الكتاب الحديث.

فيصل محمد. (١٩٩٧). موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر. ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة.

قاسم دمباصي. (٢٠٠٨). متطلبات تطوير التعليم الإسلامي في غرب افريقيا. القاهره: مكتبه الاسكندريه.

مجموعه بحوث. (١٩٨٩). وضعية المدارس العربية الإسلامية وتحليل نظام التعليم العربي الأهلي في جمهورية مالي. بيروت: دار العلم للملايين.

محمد الأحمري. (2016). عودة الاستعمار القديم الى مالي. الدوحة: منتدى الابحاث الدولية.

محمد السويدي. (١٩٨٦). بدو التوارق بين الثبات والتغيير : دراسة سوسيولوجية أنتروبولوجية في التغيير الإجتماعي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

محمد القشاط. (2000). صحراء العرب الكبرى. ليبيا: دار الرواد.

محمد عاطف. (٢٠٠٢). شهر الاكتشافات الجغرافية في العالم. السعودية: دار الطائف.

محمود نبيلة حسن . (٢٠٠٧). في تاريخ إفريقيا الإسلامية. الإسكندرية: دار المعارف الجامعية.

محمود شاكر ، (١٩٨٦). نافذ ايوب بيلتو، مالي. بيروت.

مسعود عمر. (2000). تاثير الشمال الافريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي. طرابلس: جمعية الدعوة.

هريدي فرغلي علي. (٢٠٠٨). ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر مصر :. : العلم والإيمان.

ولد بية المحجوب. (1981). موريتانيا، جذور وجسور. نواكشوط: دار الفكر.

يوسف دمبيا. (٢٠٠٤). مشكلات التعليم الإسلامي في كوت ديفوار : دراسة تقويمية، مجلة قراءات إفريقية، صفحة 75.